رحلة في ذاكرة مضت (٢-٢)..

تفاصيل حوار مع الشاعر الكبير المفلحي

الأمناء ينثرها/ صالح حسين الفردي:

حوار دون مقدمات

كنت قبل أن تتاح لي فرصة الجلوس مع الشاعر والملحن الرقيق صالح عبد الرحمن المفلحي، قد نشرت دراسة تحليلية من حلقات ثلاث في صحيفة (المسيلة) عن تجربته الشعرية، وأعدت ترتيب قصائد الديوان - بعد استثناء قصائد المناسبات - وفقاً ورؤيتي الخاصة لطبيعة العلاقات الإنسانية التي تمرُّ بها قصص الحب، وبدأت في قراءة هذه الروائع الغنائية، ولم أكن أعلم أن هناك من يذهب بنسخ في هذه القراءة والحلقات إلى الشاعر الكبير، وعندما نجحت في الحصول على تليفونه المنزلي رفعت السماعة فكان على الطرف الآخر، فما أن عرَّفت بنفسي، حتى وجدته يرحب بي ويشكرني على محاولتي تلك، فاستغليت الفرصة وأبديتِ رغبتي في اللقاء به فازداد ترحيباً وشكراً.

هذه البدايات كانت مهيمنة على أجواء اللقاء، ولكنه منحني طرف الخيط لبدء الحوار عندما أشار إلى إعجابه لكل ما كتبت وخلصت إليه في تلك القراءة المتواضعة، عند ذلك، انتهزت الفرصة قائلاً:

- قصيدة بلجيك فيها الرمز القوي.

- الكلام الرمز أنا أقصد به كلام خاص ما أقصد به شيء من الأشياء السياسية ولا حاجة لا .. لا ..

- يعني هو ضمن مرحلة العشق وضروري من التلميح أحياناً يكون أقوى من التصريح؟

- أيوه أيوه، نعم جاءت في هذا الإطار.

- وجدت أنها من القصائد القليلة التي فيها الرمز في الديوان، هل هي جاءت قبل شبعة العيد أو بعدها؟

- بلجيك سبقت شبعة العيد..

- هل نستطيع القول أنه ما فاد التلميح فكان لا بد من التصريح؟

- نعم .. نعم تقريباً هكذا.

- بس الرمزية قوية شوية؟

- قوية.. بعد ذلك كل فسرها بتفسيره الخاص به..

(لا تغرك شبعة العيد)، مثل حضرمي معروف، ولكنني طوعته لهذه الأغنية.

- الشيء الذي ما زال في ذاكرة الناس وما زال مسيطراً عليهم حتى اللحظة وسار كالمثل، ويظهر كثير من صفاتك أنت التي أشرت إليها في الأبيات الأولى في ديوانك، إنك إنسان لا تحب التلون ولا تحب التغير، وإنك صاحب مواثيق وعهود، هذه القصيدة ماهي مناسبتها وهل تتذكر في أي عام؟

- الآن أنا ما أتذكر في أي عام - تقريباً فوق 25 سنة - تقريباً هكذا طبعاً الشعر يجيك دون أن تبحث عنه، شيء يملأ عليك إملاء دون ما تتقصده فجأة، جملة (لا تغرك شبعة العيد) هي مثل حضرمي معروف، ولكنني طوعته لهذه الأغنية.

- وكان التطويع مناسباً للحالة التي أنت تعيشها؟

- أيوه، أيوه، وبدأت به جزائي يوم أنا أحبك وخليتك مزيد وكل الناس فيما لقيته فيك تشهد

إذا ناديتنا لبيت بك عيني ويا سيد

توقع يا حبيبي لا تغرك شبعة العيد.

- كلمة (توقع) ما فيها رقة؟

- فيها رقة فعلاً، وأنا توقعت منه أن يفهمها..

- حتى في لحظة القسوة تحادي بمن تحب؟

- بعد ذلك جاء وياما من ليالي سامرك فيها ونقهد وبيت بالقبل لا طفك من ذا الخد لا خد وسلمتك ولاء قلبي هول من غير تحديد.

- أيضاً كلمة (هول).

- (هول) كلمة حضرمية ما فيها وزن ولا فيها كيل.

- بعد ذلك جاء البيت الذي تقول فيه على كتف الدلل.

- تفحسك في الأسواق كل يد وعرضوا بزك البالي على أبيض وأسود لأنك قاصر القيمة وبزك عيف تقليد.

- هذا البيت ما زال إلى الآن الكثير من المحبين للأغنية الحضرمية يتساءلون المعلوم عن الشاعر المفلحي رقته وعاطفته الجياشة، ولكن في هذا البيت!

- أيوه، أيوه، هذا البيت فعلاً كان شديد شوية شديد قليل وكنت أتمنى أن لا يكون في الأغنية ولكنه جاء عفوياً.

- ولكنه جاء صادقاً.

قد يكون عن صدق جاء.

قد يكون يلملم جراح.

قد يكون هكذا ولكن لا أريده بالطريقة هذه كان شديداً وقوياً ومؤثراً في نفس الوقت.

- لذلك رجعت في نفس القصيدة في آخرها تقول وبحرك.

- ما أعترف لي ضاع فيه الجزر والمد ولو حاولت بابلده فيه البلد بلد ويصعب معرفة بحرك على عز النواخيذ.

- لأنه هنا كمن حاول أن يعيد الاعتبار لمن يحبه.

- أيوه هذا ما حاولته.

الشباب شعلة من الجنون

- الآن عندما ترجع إلى هذه الروائع، التي كتبتها في مرحلة الشباب كيف تنظر لها أنت؟

- والله في نوع من الإكبار وأتساءل مع نفسي هل أنا قلت هذا الكلام، الآن أنا متردد وعندما استطلع ديواني أقول كيف أنا قلت هذا الكلام، طبعاً الشباب له زخمه الخاص، والشباب شعلة من الجنون.

- هذه الكلمات في شبعة العيد فيها الكثير من المعاني الإنسانية.

- (مقاطعاً): الواحد لما يوضع كلام زي هذا يوصف حبيبه أنه مثلاً كيف أنا كنت أقدرك ومعجب بك وواضعك موضع التقدير والاحترام وليس تصد هذا الصد كله إلى آخره فتأتي الصيغة على هذا المنوال.

- جاءت فيها بعض الصور الجميلة مثل (ليه الكبر ذا كله وليه الظلم والصد)، هذه ثلاثة أشياء إذا واحدة منهن بقيت عالقة.

(مقاطعاً):

- قد يكون الشاعر واجهه حبيبه بشيء كلام أثر عليه وشاف مثلاً محبوبه تطاول في الهجر والبعاد والكبر يقول هذا الكلام في سياق حالته النفسية.

- البيت الذي يقول على كتف الدلل تفحسك.

(مقاطعاً):

- هذا البيت أنا في الحقيقة ما أريد أن أقوله لكن يعني قلته، حتى حسين المحضار - الله يرحمه - كان يقول لي:

- هذا البيت شديد شويه.

- قلت له: فعلاً شديد شويه وما أريد أن أقوله ولكني قلته شيء دفعنا في القول فقلته.

- البيت الذي بعده وبحرك ما أعترف لي وكأن فيه تراجع عما قلته فمعناه أنك نوع غريب ما اعترفت لي، ما عرفت ميولك نحوي خاصة، ففيك الصد وفيك البعد رغم إننا أحبك بأمانة ولكن لم تستطع أن تميّز بحره حتى آخر لحظة.

- أيوه، أيوه، ما استطعت أنا أن أميز بحره ولو أنه يحبك وأنت تشعر بهذا الحب ولكن الإنسان نسّاي دائماً، والإنسان لابد أن يكون موضع تساؤل دائماً.

كل أغنية أعطيها مرسال

- اللحن هذا الغنائي من أول من غنّاه؟

- غناه مرسال كل أغنية أعطيها مرسال.

- هذه الكلمات بعد أن قلتها هل أعدت تعديلها؟

- ماشي تعديل خلاص الشيء لما تكتبه وتقوله ويغنيها الفنان معاد شيء تعديل.

في هذا السن وهذا النضج لا يمكن أن أقول كلاماً جارحاً

- طلب مني أن أسألك هذا السؤال - الآن - وأنت بهذا السن وهذا النضج إذا أعدت ذاكرتك إلى الوراء هل ستكتب هذه الأغنية بهذه القوة؟

(مقاطعاً):

- لا، لا، طبعاً؛ لأن الشباب كما قلت شعلة من الجنون ويندفع اندفاعاً كثيراً وأنا في مثل هذا السن وهذا النضج لا يمكن أن أقول كلاماً جارحاً مثل هذا الكلام لأنه كلام جارح فعلاً أبيات جارحة.

- هذا الكلام الجارح هو كلام بديع لأنه ربما يكون رسالة للكثيرين أن لا يتمادوا في الصد والهجران.

(مقاطعاً):

- طبعاً طبعاً، وهي رسالة الفن كما قلت ولكن الواحد يكون دائماً حذر لا يكرر مثل هذه الأشياء فإذا قال كلام جارح لا يكرره أبداً، الحبيب حسين المحضار أشار إلى هذا البيت وقال إن هذا البيت شديد شويه فأنا قلت شديد شويه صحيح وأنا ندمت عليه.

ديواني الثاني عند الدكتور البار وسيرى النور قريباً

- أنت الآن لك ديوان بإذن الله سيرى النور قريباً؟

- إن شاء الله سيخرج قريباً وهو عند الدكتور عبدالله حسين البار لتقديمه فهو المسؤول عنه. والتسمية هو سوف يقوم بها. الديوان الأول أنا عملت خيارات للأستاذ بامطرف واختار هذا الاسم (خواطر في أنغام)، لكن هذا - للدكتور/ عبدالله البار ليسميه كما يشاء ويشرفني أن يسميه كما يريد.

البار صديق حميم شاعر عظيم وفنان وعازف عود وأديب ومحام

- لك ذكريات مع الشاعر حسين محمد البار؟

- أيوه، كان صديقا حميما لي وكنت أشاوره في بعض الأمور ولا أستغني عنه - الله يرحمه - فقد كانت لنا مقايل في منزل محمد جمعه خان دائماً .. وكان حديثنا السفر والغناء والطرب حتى لما سمع أغنياتي الأولى (مايس القد، بلغ سلامي) كان يقول لي (عسى الأسباب خير)، شاعر عظيم وفنان وعازف عود وأديب ومحام, وشاعر يقول باللغة العربية الفصحى والعامية .

ثقوب في الذاكرة

كثيراً ما أعود إلى تلك اللحظات التي شاء الرحمن أن أكون بمعية مثل هذه القامات الإبداعية في وطننا الكبير، فأجد نفسي تتناوشها العديد من الأسئلة الحائرة:

ماذا قدمنا لهذا الجيل العظيم من المبدعين في حضرموت خاصّة والجنوب عامّة، وطناً ومهجراً؟

ماذا حفظنا لهم من أصالة وتأصيل غرسوه في باطن الأرض، وفي كلّ زاوية من زوايا الذاكرة الوطنية، ورعوه ورووه بماء حياتهم وجميل عطائهم؟

ظللت أكرر -على ذاتي الصغيرة -هذه الوخيزات، لعلها تضعني على بصيص أمل في قادم يستعيد ذاكرتنا المثقوبة، فلم أفلح إلا في تكرار التساؤلات.